قصّة

في مديح الجُبن

بعد استيفاء كلّ اشتراطات النطق الفرنسي

أمل بوشارب

حرص على الحفاظ على غموضه الشعري مع أنّه أراد نشر صورة «البقرة الضاحكة» لتبديد ايّ لبس قد يدفع موظّف القنصلية إلى رفض طلب التأشيرة. لكنّه لم يكن في وارد السقوط في المبتذل والسطحي، واكتفى بإرفاق التعليق بلوحة «امرأة عارية نائمة على حافة الماء» لغوستاف كوربي، وليفهمها المتابعون كما شاؤوا... الأهمّ أن يفهمها موظّف القنصلية

كان يُحبّ «لُو غُغُبيغ»... «لُغْرِيير»... «لُووو غروبيبيير»...
- سُحقاً لهذا اللسان!

تمالك نفسه حتى لا ينجرف للنهل من قاموس الشتائم العربية، ثم فتح فمه قليلاً. حاول تدويره برقّة، ومدّ شفتيه إلى الأمام: «جَغوبيغ». ضبط أعصابه مجدّداً وأخذ نفساً عميقاً، ثم أعاد تكوير شفتيه ساعياً بكلّ ما أوتي من رهافة للتلفّظ بتلك المُفردة الصفراء الفاقع لونها بعد استيفاء كلّ اشتراطات النطق الفرنسي. لم يكن متأكّداً إن كان لسانه، الذي كان يلامس الأسنان السفلية، لا بُدّ من أن يتموضع إلى الأمام أو إلى الخلف من أجل الخروج بذلك الحرف المتحرّك النموذجي في لغة موليير على أكمل وجه: «كما لو كنتَ تستعدّ لقُبلة... أو كما لو كنتَ تطفئ شموع كعكة عيد ميلاد».

الله على العذوبة... الله على الجمال!

هكذا قاطعت ذكرى «استعارة» القُبلة مُدرّسة اللغة الفرنسية تمريناتها الإجرائية في التدرّب على مخارج الحروف، وهبّت على روحه وكأنّها نسمة صيف باردة في ليلة قائظة من ليالي القيظ العربي. لقد كأنّت تلك الفرنسية (أو المتفرنسة) عذبة، وعذبة كانت الأصوات التي تخرج من الفتحة الوردية المتموضعة في النصف السفلي من وجهها. وكان أجمل شيء فيها أنّها كانت تتحدّث دوماً من مقدّمة فمها، بلسان منتفخ وشفاه مدوّرة ومتوثّبة...

«الغغوبيغ»... «غريير»... «غروبير»... «لُو غُغبيغ دو فخانس»...

وبدا أخيراً راضياً -إلى حدّ ما- عن طريقة لفظ اسم ذلك الجُبن الفرنسي المشهور بتقويه وجيري»، وأصبحت من حينها إحدى ألذّ وأغلى ذكريات طفولته البعيدة.

«اليوم لا فراق، اليوم يلتقي الرفاق، في جنّات النعيم بإذن الله».

توقّف بجزع أمام «ستوري» على الواتساب اقتحم فجأةً هناء أفكاره. شعر بقلبه يقفز وسط صدره، وكاد يُحصي له 130 ضربة في الدقيقة. تأكّد من أنّه لم يضغط على أيّ زرّ تفاعُل ولم يفلت منه أي «إيموجي» استحسان أو إعجاب أو تقدير. كانت ميزة «ستوريهات» الواتساب شيئاً يُشبه القضاء المستعجل، من شأنها أن تسقط على رأس أيّ غافل ليس له سوى الله...

تكون في وادٍ فتجد نفسك في وادٍ.

تنحنح وهو يفكّر في تعطيل إشعارات «ستوريهات» هذا المتّصل الذي ورّطه بمشاهدة مصيبة على جوّاله من حيث لا يدري.

«هل تسمعنا يا إسماعيل؟ أنت حيّ ونحن المُبتون».

وأيضاً على «إكس»؟ غمغم مُرتاباً وهو يدرس الآن طوفان المنشورات حول ما بدا وكأنّه بالفعل خطبٌ جلل. شغّل التلفاز حتى يتأكّد من حجم التغطية وأنّه لم يلج مجرّد فقاعة ما على مواقع التواصل. كانت الدنيا حرفيّاً مقلوبة. هل كان عليه أن يتجاهل «الترند»؟

«أمّا نحن فسنواصل رسالتك يا إسماعيل...».

أطفأ التلفاز وواصل دراستَه التفاصيل الصغيرة لحياته البسيطة والمُرهفة والرقيقة. ودفعته قبعة البلّوط إلى التفكير في معاناة هذه الثمرة المظلومة التي لم يتعرّف إليها (مُعتمرة قبّعتها) إلا من أفلام الكرتون الأجنبية، بينما لم يرَها معروضة في الأسواق الوطنية سوى حاسرة الرأس، هكذا ببساطة كأنّها جارية تُباع عارية في أسواق النخاسة الموصوفة في كتب التراث العربي. ما الذي يعنيه أن يفقد المرء رأسه دون أن يُعبأ أحدٌ بمعاناته... والحقيقة أنّ تلك القبّعة لم تكن قبّعةً فحسب، بل جزءاً لا يتجزّأ من البلّوطة. وفكّر أنّ ذوبان الجُبن على طرف لسانه لن يكون فعلياً مجرّد قبعة، أي مجرّد إكسسوار عرضيّ في النهاية، بل هو رأس لسانه الذي يشعر أنّه يفقده بالفعل...

- رحم الله فقيد الأمّة.

كبس رأساً على زرّ الحذف. لم يُمهل ذلك التعليق خمس ثوانٍ على صفحته. لقد كان ينتظر التأشيرة ولم يكن في وارد مجاراة هؤلاء المتهوّرين. أغمض عينيه في تأثّر فلسفي، ثم عاد لتفحُّص جُبنه، وأخذ يلهج بتمرينات النطق

سنقشّر اليوسفي
ونكسر بزر اللوز
نكاية في الموت
ليحيا الجمال
نحن الأحياء
وأنتم المُبتون
طبعاً لا!

بهدوء قلب استعارة الشهداء الأحياء عند ربّهم يُرزقون نشّر نصّه المُرهف الذي كان -كما أراده- يحتمل قراءتين أو ثلاثاً أو أربعاً وأربعين، لا يهمّ. كان هو محسوباً على مدرسة الحداثة وما بعدها... كما كان يحبّ «الغُغبيغ». عاد ليتدرّب على اللفظ الصحيح لذلك الجُبن، وقد ساءته مقاطعة انشغالاته الشعرية الرقيقة وهمومه الإنسانية العميقة وتأمّلاته في ثقوب المعيشة وتفاصيل الحياة البسيطة الذي تؤثّث بهشاشتها صخب العالم بسرديات صغيرة مُكفكِفة دموع الثكلى والمشرّدين، حارسة نوم المثلّثين والمكلومين وغيرهم من اليتامى والمُضطهدين. بعيداً عن السرديات الكبرى للمنتصرين والغيريّين والمتسلّطين. كان متأكّداً أن جُملاً كهذه لا يزال يكتبها النقّاد المرهفون. وكان هو يستهدف عشّاق الحياة والذوّاقين والحشّاشين... الحسّاسين. صحّح لنفسه. ثم توقّف قليلاً. تأمّل الأحرُف الستّة الأخيرة التي تلفظ بها للتوّ. وشعر بشيء يشبه البهجة. لم يعُد لسانُه مؤهّلاً للنطق العربي!

- الحشّاش. الحسّاش. الحشّاس... ابتسم.

غغوبيغ دو فغونس... غروبير دي فرانس... غغبيغ دي فخانس...

كرّر بصرامة عسكرية وهو يرجو أن يكون قد وصل إلى اللفظ المثالي.

فكلّ ما كان عليه فعلُه هو تدوير شفاهه والاستعداد للقُبلة... القُبلة! تمتم بجزع وهو يفكّر بقلب ضمّة القاف إلى كسرة، نتيجة التحوّل الطبيعي للسانه عن النطق العربي. اتّجه إلى الثلّاجة واستغرق في الفكرة. هل سيغدو غريباً عن نفسه، أم أنّه أخيراً سيلتقيها. تناول بيده قطعة من «الغروبير»، وارتأى أن استعارة نفخ الشموع على كعكة عيد الميلاد أسلم من القُبلة... القُبلة... نظر في أحد الثقوب غير العميقة للشريحة الرقيقة التي قصّها له البائع على شكل مثلّث هرمي متساوي الأضلاع، وفكّر لو أنّه أتى بمثلّث أسمك ودكّ لسانه المورور على شكل مخروط داخله، ولفّ، لفّ، ثمّ بقي غارقاً في جوّانيته إلى حين. فهل سيذوب الجُبن في فمه ويغلّف حواف اللسان إلى غاية الحلقوم، وذلك طبعاً بعد تمدُّده على الأرض مع إسناد مؤخّرة رأسه بوسادة لمنح الجُبن وقته حتى يفيض على أقصى اللسان؟ أم أنّ الجُبن سيسيح على طرف اللسان فقط ويصنع عليه شيئاً يشبه قبعة البلّوط؟

عمل لـ غزل سحابي

بطاقة

كاتبةٌ ومترجمة جزائرية من مواليد دمشق عام 1984. تُقيم في إيطاليا؛ حيث تدير تحرير مجلّة «رابسك» الإيطالية التي تُعنى بالأدب العربي. صدر لها في القصّة: «عليها ثلاثة عشر» (2014) و«لأنّهم من هناك» (2024)، وفي الرواية: «سكّرات نجمة» (2015) و«آبات الظلمة» (2018) و«في البدء كانت الكلمة» (2021)، ورواية للِيافعين بعنوان «من كلّ قلبي» (2016). تكتب أيضاً بالإيطالية التي صدرت لها فيها قصّة بعنوان «المتمرّدة» (2019).

تصويب

الغائبون

محمد علاوة حاجي

ضمن محور فلسطين؛ أحد المحاور الرئيسية في الفعاليات الثقافية لدورته السابعة والعشرين التي اختُتمت أمس السبت، برمج القائمون على «معرض الجزائر الدولي للكتاب» ندوةً حول «السينما في مواجهة الصهيونية». لمناقشة (بحسب ما يُفهم من العنوان) التجارب السينمائية الفلسطينية وغير الفلسطينية التي انتصرت للحقّ الفلسطيني وقدّمت روايات مضادّةً للسردية الصهيونية.

كان اللافت في البرنامج المنشور اقتصار المشاركين في الندوة على ثلاثة أسماء، جزائرية؛ هي الناقد السينمائي أحمد بجاوي والمُخرجان رشيد بوشارب وبلقاسم حجّاج، بينما غابت عنها الأسماء الفلسطينية، أو العربية والأجنبية، التي قدّمت تجارب ضمن موضوع الندوة أو كتبت عنها، ومن ثم يمكنها أنْ تتحدّث فيه بشكل أفضل من غيرها. ربّما يعكس ذلك استسهالاً في إعداد البرنامج الثقافي المُصاحب للمعرض، وقلّة اجتهاد في اختيار الأسماء الأنسب للتحدّث في ندواته وفي التواصُل معها. غير أنّ المشكلة لا تتوقّف هنا؛ إذ سنجد أنّ الندوة أُقيمت (أوّل أمس) بحضور متحدّث واحد هو أحمد بجاوي، في حين غاب عنها كلٌّ من رشيد بوشارب وبلقاسم حجّاج. ربّما اعتذر الضيفان عن المشاركة بعد ضبط البرنامج، أو لعلّهما دُعيا في آخر لحظة فلم يُسعفهما الوقت للحضور. أمّا أسوأ الاحتمالات فهو أنّهما لم يُدعيا أساساً. هذا احتمالٌ وارد حين يتكرّر الأمر أكثر من المقبول، فنُفكّر أنّ بعض الأسماء، تُبرمج من دون دعوتها. المهمّ أن يكون البرنامج المكتوب «ثريّاً ومتنوّعاً»، ثمّ لا يهمّ بعد ذلك إن حضرت أم غابت.

إطلالة

محمود شقير وفنتازيا الواقع

عباس بيضون

تحت دمغة «نوفيلا» (رواية قصيرة)، تقع «منزل الذكريات» للفلسطيني محمود شقير. الرواية التي صدرت حديثاً عن «دار نوفل هاشيت أنطوان» من 172 صفحة، وهو رقم ليس قليلاً حتى لرواية، ثمّ إنّ عالم الرواية ضيّق ومتّسع بالقدر نفسه. تبدأ الرواية بموت سناء، زوجة محمد الأصغر بن منان عبد اللات، اسم يردُّنا إلى العصر الجاهلي، لكنّ لعبة الأسماء لا تقف هنا، فلمحمد الأصغر أخٌ هو محمد الكبير، كأنّ لعبة الأسماء هنا تقف عند اسم علم واحد «محمّد». ثم إنّ الرواية لا تكتفي بموت سناء التي لا تلبث أن تعود إلى زوجها وإلى سريره. هنا نبقى عند الذكريات التي تجد لنفسها صوراً وأجساماً ووقائع. الذكرى ليست وحدها هنا، إنّ لها جناحاً آخر مستمدّاً هذه المرّة من الكتب، وبالضبط كتابين متواصلين، أوّلهما «الجميلات النائمات» لكواباتا، وثانيهما رواية ماركيز التي بنت عليها «ذكريات عن عاهراتي الحزينات». الثانية باعتراف ماركيز تستلهم الأُولى. الروايتان تتكلّمان عن عجوزين يجدان متعتهما في التمدّد جنب جميلة راقدة في السرير. الروايتان، كما يتراءى، لم تردا عبثاً. الراوي هو أيضاً في ثمانينياته، والعجوزان يحضران من الروايتين للاجتماع به. إذا علمنا أنّ محمود شقير وُلد عام 1941، جاز لنا أن نتساءل عن صلة الراوي بالرواتي.

بل لن نخطئ، إذا وجدنا بينهما قرابةً قد تجعلهما واحداً، لكنّ العجوزين طيفان، وإذ يحضران من كتابَين، فإنّهما من ذلك قريبان من سناء التي تحضر من قبرها. يمكننا عند ذلك أن نتساءل عمّا يصل شخصيتَين من الكتب بواحدة من الماضي. نحن هكذا أمام فنتازيا لا تكاد تنفصل عن الواقع، بل هي تطغى على هذا الواقع فتحيله طيفاً خيالياً. ثمّة ما يتراءى وجه الصلة بينهما، إنه تذكّر، بل هو بكلمة أُخرى الحلم. محمّد الأصغر لا يحلم فحسب، بل إنّ أحلامه تجري مجرى الواقع. إنّها مكشوفة مرئية، واضحة للآخرين. أحلام محمّد تستفزّ الآخرين بحيث يحاسبونه عليها، محمّد الذي لا تفارقه ذكرى زوجته، بل هي تحضر بجسمها وصوتها وعتبها للقائه، يبقى ذلك بما يشبه الحلم، إنّها تملأ عليه عالمه، لكن ذلك مقصور على الذكريات، فهو لا يمانع من أن يذهب مع قريبه رهوان إلى بيت قوّادة، حيث يستعيد روايتَي كواباتا وماركيز، إذ يطلب من سميرة المومس أن تبتلع حبّة منوّم لتتمدّد إلى جانبه في رقادها، لكن الخيال هنا يكذب، فسميرة لا تنام ولو تظاهرت بالنوم. إنّنا هنا أمام واقع يُكذّب الحلم. ليست هذه المرّة الوحيدة التي يحضر فيها الواقع بجلاء، وإلى جانبه أو مقابله الفنتازيا. أسهمان التي تقتحم عليه حياته، وأخوها جميحان، هما من واقع مفرط. أسهمان تتزوّجه بضغط من أخيها جميحان الذي يحاسبه على أحلامه. لا يفعل جميحان ذلك فحسب، بل يتّهمه بأنه شيوعي مثل أخيه محمّد الكبير. أمر ليس صحيحاً البتّة، مع ذلك يضطر جميحان إلى أن يؤدّي الصلوات الخمس في الجامع القريب، ويضطرّه إلى السفر مع أسمهان إلى الحج، ثم يُملي عليه أن يسجّل أملاكه باسم أخته، ليظهر بعد ذلك أنّه اسمه. لا نفهم سطوة جميحان، إلّا أنه واقع مُرّ يقابل نشوة التذكّر والحلم. ليس الواقع هنا فقط، فهناك أيضاً حضور للاحتلال الإسرائيلي في ملاحقته للفلسطينيّين، يلاحق الراوي على أمور ليس لها أساس، ويلاحق قريبه رهوان ويطلب منه أن يتجسّس لصالح الاحتلال، ثمّ هناك أيضاً العودة المستطردة إلى التراث العربي، وبخاصّة تلك المؤلّفات التي تتناول الحب والجنس. هكذا نقع على حكايات وعلى أشعار وطرف أُخرى.

يمكننا في هذا السياق أن نقف قليلاً عند الأسماء، فهناك لعبة تبدأ من محمّد الأصغر بن منان عبد اللات، الذي لا تخفى جاهليته، مروراً بجميحان الذي يستمدّ من الجموح، إلى رهوان الذي لا ندري له أصلاً واضحاً. هكذا نجد أنّ نوفيلا محمود شقير تكاد تتّسع لأشياء كثيرة. إنّها محاولة لكتابة نص مقابل لنص كواباتا الذي سبق لماركيز أن بنى عليه. محمود شقير يعاود المحاولة ذاتها، فيما أنّ الرواية في ذات الوقت نصّ مقاوم للاحتلال، ولون من واقعية سحرية، ولعب بالأسماء والأحلام.

(شاعر وروائي من لبنان)

لم أبِع شيئاً اليوم ولن أبيع غداً

هل تنزعج أميركا عندما أُطفئ التلفاز؟

افكّر لو كانت
اميركا رجُلا او امراة،
لو كانت اميركا
طيراً او سلحفاة،
ماذا ستاكل
اميركا لتعيش؟
جلودنا المسلوخة
بالصواريخ؟

عمل لـ غزل سحابي

حسن أكرم

كلُّ الإشارات حولي تدعوني إلى القول إنّنا قد عدنا بالزمن إلى التسعينيات، غُدت لأبيع السجائر بالفرط، ألفُها وأبيعها. التبغ ولفائف الورق والجهد الذي أبذله مقسوماً على صافي الربح يجعلني قادراً على أن أستقبل صديقي بكوب قهوة. هذه المعادلة معادلة تسعينية في الأساس. العراقيون وحدهم يعرفونها، أو لنقُل أهل غزّة، وربّما السوريون أيضاً، وربّما أهل اليمن والسودان ولبنان طبعاً. كلّهم صاروا يعرفون هذه المعادلة، معادلة الكرامة مقابل اللاشيء. إمّا أن تختار كرامتك وإمّا ألّا تختار. دفعتنا أميركا كلّنا نحو نهاية الصندوق الذي وضعتنا فيه، وصارت تصرخ في وجوهنا: «تفرّقوا أنتم إرهابيّون». من يتمسّك بكرامته عند أميركا إرهابي. ألفُ السجائر الآن، وأفكّر في كرامة أميركا نفسها. كيف لمن ليس له مروءة أن يأخذ عن الناس تصوّراتهم في الحياة؟ كيف لأميركا التي لا تملك روحاً أن تفرض على واحدٍ مثلي يستدين من صندوق النقد الدولي أو يخرج من الملّة؟ وأنا ألفُ السجائر أفكّر في روح أميركا المتاثنة بالتفوّق، أفكّر لو كانت أميركا رجُلاً أو امرأة، لو كانت أميركا طيراً أو سلحفاة، ماذا ستأكل أميركا لتعيش؟ جلودنا المسلوخة بالصواريخ؟ إذن لمن سأبيع هذه السجائر؟ ومن يملك المال هذه الأيام سوى الخونة؟ وهل أموال الخونة حلال؟

بطاقة

كاتبٌ عراقي من مواليد مدينة البصرة عام 1993. يقيم في بغداد ويعمل في مجال نشر الكتاب. نشر روايته الأولى «خطّة لإنقاذ العالم» عن «دار الرافدين» عام 2020، وصدرت في أربع طبعات آخرها عن «منشورات العبد» في 2023. صدرت له مجموعة قصصية بعنوان «كتاب الكوابيس» عن منشورات «مقبرة الكتب» عام 2021. وتصدر له العام المقبل مجموعة قصصية ثانية بعنوان «لو أنّني منعتُ الديمقراطية من أن تركب على ظهر الدبابة»؛ وهي المجموعة الحائزة منحة تفرّغ من مؤسّسة «مفردات» في بلجيكا.

عليّ أن أطوّع كلمة كرامة بما يليق بهذه الصفقة. سأقول إنّني أبيع سجائري لأيّ مشترٍ، ولن أُدقق في هوية المشتري ومصدر أمواله، سأقول لكرامتي إنّني لست قادراً على تمييز الخونة من غيرهم، لكن هل ستصدّق كرامتي كلّ هذا؟ الخونة واضحون، بضحكتهم الصفراء، بعيونهم الجارحة، يمكنك أن تميّز الخائن من رائحته، ماذا سأقول لكرامتي إذن؟ لو وضعتُ يافطة وكتبتُ عليها: لا تبيع لكم أنتم بالذات، هل سيعرفون أنفسهم؟ هل ستّتهمني قنوات التلفاز الأميركية بالعنصرية؟

في نهاية اليوم غُدت ويدي تعتصر سجائري. لم أبع شيئاً. وفي طريقي إلى البيت، كنت أصرخ: يا أميركا لم أبع شيئاً اليوم، ولن أبيع غداً. لم أبع كرامتي.

فعاليات

بوّابات وممرّات عنوان معرض يستضيفه «متحف الفن المُعاصر» في بيروت حتى الخامس من كانون الثاني/ يناير المُقبل. يجمع المعرض بين أكثر من ثلاثين فنّاناً، يتحاورون حول مفاهيم الذاكرة والأساطير والإدراك والأرض، بوصفها روابط بصرية وتاريخية ومفاهيمية تربط بين الأعمال الفنّية وتنسج سرديات جديدة.

حتى 17 آذار/ مارس المُقبل، يستمرّ في «متحف الملكة صوفيا» بمدريد معرض **في هواء مثقل بالرغبة**. عبر أكثر من 300 عمل لفنّانين مثل: **أوغست رودان**، و**البرتو جياكوميتي**، و**سلفادور دالي**، و**أونيكا زورن**، و**جيمس إنسور**، و**تاتيانا تروفي**، يعالج المعرض البُعد السياسي للعاطفة والصدمات التي تولّدها في العلاقات بين الأفراد.

ابتداءً من الأربعاء المُقبل، تعرض منصّة «أفلامنا» فيلم **حكاية قرية وحرب** (1987) للمُخرج اللبناني **مارون بغدادي**. يحكي الشريط (24 د) قصّة أهالي جنوب لبنان خلال الاجتياح الإسرائيلي عام 1978، ويُبرز معاناتهم اليومية. عُرض الفيلم في الأمم المتّحدة وأسهم في إصدار قرار ينصّ على انسحاب الاحتلال.

عند الرابعة من مساء الأربعاء المُقبل، تُقام جلسةٌ ثانية من ورشة **الخطّ الديواني: المستوى المتقدّم**، التي يُنظّمها «متحف الفن الإسلامي» في الدوحة. يقدّم الورشةَ **حسين عمار أحمد**، وتهدف إلى تعليم المشاركين التقنيات الخاصّة بالخط الذي ابتكره العثمانيون واعتُمد في ديوانهم. تُقام الجلسة الأخيرة في 24 الجاري.